أحمد بابا التنبكتي (693- 1036هـ / 1556- 1627م)

أ. نادية ســـلم شفشه ـ كلية التربية الزاوية ـ جامعة الزاوية

المقدمة :

العالم أحمد بابا التنبكتي علم من أعلام أفريقيا فيما وراء الصحراء عاش خلال القرن (10- 11هـ /16-17م) كان له أثر كبير في الحياة الفكرية والعلمية ليس في أفريقيا فحسب بل في كل أنحاء العالم الإسلامي .

فقد طارت شهرته الأفاق وانتشرت مؤلفاته العديدة شرقا وغربا نهل منها الطلاب والعلماء في عصره ومازالت شموعها مضيئة حتى وقتنا الحاضر .

لم يكن تأثير العالم أحمد بابا في منطقته فحسب، بل في المغرب الأقصى فقد تتلمذ على يديه الكثير من علماء المغاربة الذين وصلوا إلي مكانة رفيعة في تلك المنطقة .

و يعد من أهم الشخصيات الفكرية التي أسهمت بمجهودات وفيرة في مختلف ميادين العلم والمعرفة وكان لها فضل عظيم في الربط بين جنوب العالم الإسلامي الإفريقي وشماله .

سوف يتناول هذا البحث سيرة وحياة أحمد بابا ونشأته وشيوخه ومحنته ووصوله إلى مراكش عاصمة الدولة السعدية آنذاك ،كما سنذكر مؤلفاته العلمية ووفاته .

اتبعت في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي الذي يعتمد علي مناقشة النصوص التاريخية وتحليلها من خلال عرضها وتجميعها لتصل إلى حقائق علمية .

احمد بابا التنبكتي

(963- 1036 هـ / 1556 - 1627 م)

أولا :

أ :ـ مولده و حياته :

هو أبو العباس أحمد بابا بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد بن أقيت بن عمر بن علي بن يحي بن كدالة بن مكي بن نيق بن لف بن يحي بن تشت بن تنفز بن خيراي بن النحر أبي بكر الصنهاجي الماسني السوداني التكروري التنبكتي(1)

ولد في مدينة تنبكت ليلة الحادي والعشرين من ذي الحجة عام 963هـ ، 1556 م، نشأ في أسرة عريفة ذات حسب ونسب (2) بني أفيت المعروفين بالعلم والمكانة المرموقة بين سكان المدينة لانشغالهم بالقضاء والتعليم فاعتبروهم أهل شورى ووجاهة(3)

عُرف أحمد بابا بالتكروري تم عُرف بالتنبكتي(4)

ورجح البعض نسبه إلى صنهاجة من قبيلة مسوفة (5) كان بيته بيت علم وتوراث أهله العلم في بلدهم لمدة خمسين عاماً (6)

نشأ أحمد بابا في عهد أسرة الاسيكا فقد قضى أحمد طفولته وجزءاً من شبابه خلال عهد هذه الأسرة(7)

ثانياً ـ تعليمه :

تلقى أحمد بابا تعليمه الأول في البيئة السودانية على يد والده أحمد بن عمر بن محمد بن أقيت ** الذي كان عالماً ذكياً داركاً محدثاً أصوليا منطقياً (8)

وأيضاً أخد العلم من عمه أبي بكر أقيت فقد كان لي أبيه وعمه دور كبير في حفظه للقرآن الكريم كما درس جميع المواد التعليمية والإسلامية التي تدرس في تلك الفترة منها الحديث والفقه والتفسير والنحو واللغة والتوحيد والتصوف والمنطق (9)

ويعود الفضل الأكبر في تعليمه للشيخ العلامة محمد بغيع** الذي أثنى عليه أحمد بابا كثيراً في كتبه فقد انتفع بكتبه فكان أستاذه ومعلمه وأجازه **في جميع ما يجوز له وكتب له بخطه ووقف على بعض تأليفه (10)

كان للعلامة محمد بغيع تأثير كبير في حياة أحمد بابا الذي لازمه سنين وقرأ عليه فيها علوم الحديث والفقه والتنجيم والمنطق والعروض وغيرها من أمهات الكتب ويزيد عددها على اربعين كتاباً (11) كما أخذ عن الفقيه المتقن الحافظ أبي العباس أحمد بن محمد القري حيث جالسه واستفاد منه في علم الحديث (12)

وأيضاً قرأ على يد الشيخ القاضي العاقب بن الشيخ أبي الثناء محمود بن عمر(13)**

وأجازه من مكة الشيخ يحي بن محمد الحطاب وكذلك الشيخ محمد خادم الغلابى(14)
نلاحظ أن أحمد بابا تلقى الكثير من العلوم التي كانت معروفه في عصره على أ]دى شيوخ وعلماء يُشهد لهم بالعلم والمعرفة وهذا أمر لا يبدوا غريباً على عالم خلف لنا العديد من المؤلفات والكتب سنذكرها لاحقاً .

ثالثاً ـ مراسلات السلطان المنصور أحمد الذهبي :**

إن حملة المنصور أحمد الذهبي*** على بلاد السودان مملكة سنغاي وسيطرته عليها يعد خارج نطاق دراستنا ولهذا سوف ندرس منه بعض الفقرات المتعلقة بموضوع الدراسة (أحمد بابا) وهي المراسلات و وقوعه في الأسر ولذا سوف نمر على باقي الأحداث مرور الكرام لتوضيح الصورة لا أكثر

كان السلطان المنصور أحمد الذهبي يرغب في غزو السودان مملكة سنغاى ، وضمها إلى مملكته ؛لأنها بلاد وافرة الغلال كثيرة المال(15)

وقد عمل على مدار عشر سنوات التي سبقت الغزو على جميع المعلومات الكافية عن المملكة ذلك عن طريق إرسال الجواسيس والعيون إلى بلاد السودان الغربي (16)

في نفس الوقت استعان في جمع المعلومات على عدة شخصيات مهمة منهم قاضي تنبكت العاقب بن محمود بن عمر بن أقيت الذي منحه ملوك آل اسكيا سلطات واسعة تفوق احياناً سلطة اسكا نفسه تم القاضي ابو حفص عمر بن محمود بن عمر الذي تولى القضاء من بعده مقابل الأموال والهدايا.

السؤال الذي يفرض نفسه هنا

ـ لماذا اعتمد المنصور على قضاة بن أقيت في جمع المعلومات عن المنطقة ؟

لأن بني أقيت أكثر الناس يتمتعون بسلطات واسعة تفوق سلطة الاسكيا نفسه أحياناً (17)

وقد نوه المنصور في مراسلة إلى المكانة التي يتمتع بها القاضي في تنكبت في قوله ((إنكم بالإشارة السريعة اعرف من سواكم))(18)

- على ماذا يدل هذا ؟

زد عن ذلك أن قاضي تنبكت هو المرجع الروحي والأول في إمبراطورية سنغاي الإسلامية ولديه تأثير كثير في البلاط الملكي وعلى العلماء والعامة وكلمته تكاد تكون مسموعة (19)

إضافة إلى مكانه آل أقيت في المدينة فهم أهل علم و وجاهة ورئاسة

لقد دارت المراسلات بين السلطان أحمد المنصور وقاضي تنبكت ابي حفص عمر بن محمود بن أقيت قبل غزو بلاد السودان بقليل سنة 1598 م فقد ذكر المؤرخ عبد العزيز القشتالي الذي عاصر هذه الأحداث في كتابه مناهل الصفا في أخبار ملوك الشرفاء النقاط التي تضمنتها الرسالة (20)هي : الدخول في طاعة السعديين ـ أن يدعو قاضي تنبكت للسعديين بالخلافة وأحقيتهم لقيادة المسلمين ـو أخبار القاضي بقرب تحرك الحملة العسكرية لبلاد السودان(21).

يبدو من خلال هذه المراسلة بين الطرفين أن هناك توافقاً كاملاً بينها وأن القاضي يمد السلطان بالمعلومات أولاً بأول والعلاقة بينهما كانت وطيدة .

هناك رواية أخرى تشير إلى أن السلطان أحمد الذهبي كان على اطلاع تام مجال منطقة السودان الغربي سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وكان له اتباع ومؤيدون منهم أحمد بابا التنبكتي الذي كانت له علاقة وطيدة بالبلاط الذهبي فكتب تقارير عن أحوال عامة للسعديين(22).

لكن المؤرخ القشتالي الذي عاصر هذه الأحداث لم يشر إلى هذه المراسلة التي تمت بين أحمد بابا والذهبي بل أشار أن المراسلات كانت مع قاضي تنبكت أبي حفص فقد وعده السلطان بوعد مقابل خدماته .

الأمر الذي أوقعنا في حيرة

رابعاً ـ _محنة أحمد بابا التنبكتي :-

عندما أرسل السلطان الذهبي حبشة لاحتلال بلاد السودان بقيادة قائد هجودر باشا **** الذي وصل تنبكت 999 هـ / 1590 م عامل أهل البلاد بعاملة سيئة حيث قام بقتل جميع السودانيين رغم أنهم ينادون نحن مسلمون وينطقون الشهادة(23).

وانتهكوا أعراضهم (24)وقام الجيش المغربي بنهب وسرقة إخوانهم السودانيين(25).

هذا كان له انطباع سيئ لدى شعوب السودان عامة والعلماء خاصة فقد نبهوا جودراً لحقيقة مهمة هي أن الشعوب التي عمد السيف فيها وانتهكت أعراضها ونهبت أموالها شعوب إسلامية دخلت في الإسلام طوعاً ولم يفرض عليهم أحد الإسلام(26).

ـ لماذا عامل الجيش المغربي أهل السودان بهذه القسوة ؟

لقد سئم الناس حكم المغاربة بعد القتل الشنيع الذي تعرضوا له وماترتب عليه من تشريد الناس ورحيل العلماء والفقهاء الدين اشتكوا من حدة سيف جودر باشا(27)

شملت حدة سيفه أسرة آل أقيت فقد نكلوا بجميع أفرادها خاصة العلماء ومنهم أحمد بابا لماذا؟

لأن شعوب السودان آذانهم مصغية لأسرة آل أقيت ويسمعون كلمتهم فهم أهل الرئاسة والوجاهة في البلاد ألهذا كان المنصور متخوفاً منهم ومن مكانتهم في البلاد!؟ (28)

أراد المنصور أن يغدر بالعهد الذي قطعة للقاضي أبي حفص عمر بن محمود بن أقيت الذي راسله سراً فقد كان يمينه وبغربه (29)

- بماذا يا ترى ؟

حاولت الباحثة البحث عن الوعد الذي منحه المنصور للقاضي فلم تجده .

فقد ذكر المؤرخ القشتالي المراسلات والبنود ولم يذكر أو يوضح ماذا سوف يعطي السلطان للقاضي مقابل هذه المساعدات الجليلة ؟

هنا تظهر لنا وجهة نظره ثابتة معاكسة للأولى حول معاملة الجيش المغربي لأهل السودان من قبل المؤرخ عبد الرحمن السعدي .

عندما دخل المغاربة مدينة تنبكت أيد العلماء الفاتحون في مقدمتهم قاضي تنبكت عمر بن محمود بن أقيت الذي دخل عليه جودر وقبل رأسه ورجليه(30) وخطيب كانو محمود رامي هو شيخ كبير تلقاهم بالترحاب والكرم وضيفهم ضيافة كبيرة (31)

كما أشار أن المغاربة عاملوا أهل البلاد معاملة حسنة امتازت بالعدل في الحكم قائلاً أن سلوك أغلبية المسؤولين المغاربة كان محموداً فعند ما رفع عبد الله بن شين المحمودي شكواه للمنصور في شأن إبل صادرها جودر طلب السلطان أن يعطوه قيمة ما أخذ من إبله(32).

ما يظهر لنا أن جودراً عامل الناس معاملة سيئة بدليل أخده إبل عبد الله بن شين الذي اشتكى للمنصور فأمر بدفع قيمة إبله مالاً فلو عامل جودر الناس معاملة حسنه لما صادر أبل أحدهم ..... أليس كذلك ؟

فقد شملت المعاملة السيئة علماء تنبكت –أيضاً- حيث نقل الكثير منهم مكبلين إلى مراكش كان من بينهم أحمد بابا .

- **والسؤال الذي يفرض نفسه هنا**

ـ لماذا عامل الجيش المغربي علماء تنبكت معاملة سيئة ومن بينهم أحمد بابا ؟

علل المؤرخ عبد الرحمن السعدي بخصوص خروج العلماء والفقهاء من تنبكت قائلاً إن المغاربة قاموا بتفتيش جميع بيوت أهل تنبكت باحثين عن معارضين لحكمه وعن الأسلحة واستثنوا من التفتيش بيوت العلماء والفقهاء ومن يجدون في بيته معارضاً أو سلاحاً لا يلوم إلا نفسه وقد نادى مناديا بذلك(33).

فقام السكان بوضع الأسلحة في بيوت الفقهاء والعلماء من آل أقيت وعندما دخل العساكر بيوتهم وجدوها مليئة بالأسلحة والمال فعملوا على أخذها جميعاً ونكلوا بكل العلماء وليس ذلك فحسب بل كشفوا عورات نسائهم وفعلوا فيهن الفاحشة وبقى العلماء ونساؤهم في السجون لمدة ستة أشهر ثم رحلوهم إلى مراكش(34).

كان من بينهم أحمد بابا الذي قيدوه -أيضا- بالسلاسل و سيق مكبلاً بالقيود(35) وفي الطريق سقط من ظهر الجمل وانكسرت ساقه كما فقد في هذه المحنه ستة ألف مجلداً من كتبه(36)لم تقتصر محنه أحمد بابا على هذا، بل تعرضت عشيرته إلى وباء الطاعون ومات معظم أفرادها(37).

زد على ذلك خسر أقرب أولاده إليه ابنه محمد(38) وكذلك عمه عبد الله بن محمود بن أقيت(39)وصل إلى مراكش ودخل السجن في أول رمضان عام 1002 هـ (40)يبدو أن أحمد بابا تعرض لمحنة صعبة وتوالت عليه المصائب وقد وضح هذا في كتابه نيل الابتهاج في تطريز الديباج هناك رواية ثانية تقول : إن أحمد بابا كانت له علاقة وطيدة مع السلطان الذهبي ولم يتعرض للأسر ولا الكسر وأن ما يزعمه عدد من المؤرخين أنه جاء أسيراً إلى مراكش لا يعقل أن يقيد جودر باشا عند وصوله إلى تنبكت أحمد دون أن يسأل عن هويته وهو يحمل رسالة السلطان الذهبي يأمره باستشارة أحمد وبعد أن يقيد الشيخ بالسلاسل يكتشف جودر أنه أحمد فهذا الكلام ضرب الخيال وتزوير لبعض الحقائق(41).

رأى ثالث : إن أحمد بابا كانت له علاقة وطيده ببلاط السعديين قبل مجيئ حملة جودر إلى تنبكت فذهابه إلى مراكش لم يكن أسيراُ(42).

عذراً هذا وجهة نظر أحترمها ولكن الحقيقة في الرأي الأول وأنه فعلاً وقع في الأسر وتعرضت كتبه للنهب وانكسرت قدمه والدليل على ذلك هو ما كتبه أحمد بابا نفسه في كتابه نيل الابتهاج في تطريز الديباج فقد صرح بكل هذا(43).

فلولم يتعرض لكل هذا لما صرح به وكتبه بيده كما أن المؤرخ محمد الطيب القادري صرح بمحنة أحمد بابا قائلاً ((أنه امتحن امتحاناً عظيماً))(44)

وأيضاً ذكر بعض المؤرخين محنة أحمد بابا في كتبهم (45)

إضافة إلى هذا أن أحمد بابا بنفسه عندما دخل على المنصور قال له كل ما تعرض له (46).

- **على ماذا يدل كل هذا ؟**

خامساً ـ لقاؤه مع السلطان الذهبي :

عندما خرج أحمد بابا من السجن في رمضان 1004 هـ أمر المنصور أحمد الذهبي بإحضاره إليه في داره المسماة بدار البديع (47)فدخل عليه كان السلطان يكلم الناس من وراء الحجاب أو ستار فقال له قول الله تعالى: {ماكان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أومن وراء حجاب}(48)

اتشبهت برب الأرباب فإن كانت لك حاجة في الكلام فانزل إلينا وارفع عنا الحجاب فنزل ورفعت الأستار فقال له الشيخ :ـ أي حاجة في نهب متاعي ....وضياع كتبي .... حتى سقطت من على الجمل وانكسرت قدمي ؟ (49).

فرد عليه المنصور أردنا أن نجمع كلمة الله فقال له أبو العباس هل جمعت تلمسان ومايليها من بلدان فقال له المنصور: قال النبي _عليه الصلاة والسلام_ (اتركوا التُرك ماتركوكم فامتثلنا لحديث الرسول _صلى الله عليه وسلم _، فرد عليه ذاك زمان وبعده وقال لاتتركوا الترك ولو تركوكم ،فسكت المنصور ولم يجد جواباً فا نفض المجلس وخرج الشيخ(50).

سادساً ـ أحمد بابا في مراكش :

عندما خرج أبو العباس من عند السلطان استقر في مراكش فقد كان الذهبي قد فرض على علماءأسرة آل أقيت الإقامة فيها مقابل خروجهم من السجن ما سرحهم حتى فرض عليهم الإقامة في مراكش(51).

- لماذا ؟
- هل كان المنصور متخوفاً من عودة آل أقيت إلى تنبكت فأراد أن يظلوا أمام عينه ؟
- أو أن المنصور كان يحب العلم والعلماء فأراد أن يستفيد منهم جميعاً؟

عمل أحمد بابا مفتياً في جامع الشرفاء بمراكش حيث اقتصرت عليه الفتوى(52).

كما اشتغل استاذاً ومعلماً في جامعة القرويين التي هي اشهر الجامعات في تلك الفترة(53).

يذكر الدكتور الهادي الدالي رحمه الله في أغلب كتاباته أن فترة إقامة أحمد بابا في مراكش كانت أخصب فترات إ،تاجه العلمي فقد ألف فيها أكثر مؤلفاته منها نيل الإبتهاج في تطريز الديباج(54).

- **السؤال هنا**

- هل ألف أحمد بابا كتابه في مراكش ؟

لا .. كان قد بدأ بتأليفه في تنبكتو وعندما جاءت الحملة وحدث ماحدث أكمل تأليف كتابه في مراكش وأيضاً كانت فترة تواجد أحمد بابا في المغرب حافلة بالعمل العلمي سواء على مستوى التدريس أو التأليف(55).

سابعاً ـ تلاميذه:

تتلمذ على يد أحمد بابا التنبكتي العديد من الطلاب الذين كان لهم دور كبير في إثراء الحركة العلمية والفكرية ليس في بلاد المغرب فحسب ، بل في تاريخ أفريقيا فيما وراء الصحراء.

فقد تنافس الطلاب على القدوم إليه وأخذ العلم منه مع أن تعليمه كان معقداً يقوم على البحث والتحقيق والنقل والتوجيه وفي هذا يقول الشيخ عندما خرجنا من المحنه طلبوا منا الإقرار فجلست في جامع الشرفاء بمراكش أقرئ مختصر الخليل قراءة وبحثاً وتحقيقاً ونقلاً وتوجيهاً(56).

هذا يدل على مدى عمق تدريسه إليس كذلك !

كما درَس -ايضاً- الحكم الجامع والحكم الصغير ومختصر الشفا وللمؤطأ ، والمعجزات الكبرى للسيوطي وغيرها من الكتب التي تعد من أهم المصادر في الحديث والفقه(57) ودرَس –أيضاً- العديد من ابناء كبار رجال الدولة فانبغت طائفة من العلماء الشباب الذين تولوا مناصب مهمة في الدولة(58).

ولعل من أشهر تلاميذه الذين فاقت شهرتهم الآفاق هم :-

- **عبد الرحمن السعدي** :

هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن عامر السعدي سوداني الأصل ولد في مدينة تنبكت عام 1004 هـ / 1596 م ينتمي إلى أسرة من الفقهاء تربى تربية دينية في مسقط رأسه تنبكت(59).

تلقى العلم في شبابه على يد الفقيه أحمد بابا وأخذ عنه في كثير من مواضع التاريخ السوداني تولى الإمامة في جامع سنكرى الذي كان بمثابة جامعة إسلامية كان دائم السفر والترحال اهتم منذ نعومة أظافره بالتاريخ كان يتبع الأحداث ويدون كل مايسمعه ويشاهده(60).

أتم تأليف كتابه المشهور تاريخ السودان خلال التواجد المغربي في المنطقة الذي يعد أوفر المصادر التاريخية التي تتناول بلاد السودان في تلك الفترة(61).

شرح في كتابه تاريخ السودان الأحداث التي وقعت في العام الخامس من ذي الحجة (1063هـ /8 نوفمبر 1652 م) شمل سبعة وثلاثين جزءاً ثم أضاف بعد ثلاث سنوات باباً جديداً الثامن والثلاثين و انتهت الأحداث في 6 جمادي الأول (1065هـــ / 12 مارس 1655 م) يكون بذلك قارب بالتقويم الهجري (59) سنة ميلادية (62) ،توفى عام 1065 هـ /1655 م(63).

عبد الواحد الركراكي :

هو أبو أحمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الله الركراكي تتلمذ على يد أحمد بابا أثناء إقامته في مراكش واستفاذ منه كثيراً كان فقيهاً علامة فهامة قوى الإدراك له مشاركة تامة في العلوم والمنطق والبيان من مؤلفاته منظومة إبن زكرى في علم الكلام وشرحه لنظم اللبيب الإمام المشهور باليدون مزج فيه الشرح وامتزاج الحياة بالروح(64).

ألف هذه الكتب تحت رعاية السلطان المنصور أحمد الذهبي فانضمت للخزانة المنصورية فقد كان من بين العلماء الذين راعاهم المنصور برعايته في مراكش فقد قدم حواشي اللقائي على توضيح الأمام خليل إبن إسحاق المالكي وتلك الحواشي شاهدها الجميع وفرحوا بها كثيرا(65).

أبو القاسم بن أبي نعيم الغساني

هو أبو القاسم محمد بن أبي القاسم بن محمد بن أبي نعيم الغاتي الغساني قاضي حضرة جماعة فأس كان عالماً في النحو والبيان بارزاً بين أهل عصره كما كان بارعاً في المنطق والعروض وعلوم اللغة من العلماء الذين تتلمذوا على يد أحمد بابا وأقاموا في الحضارة المراكشية(66).

أحمد بن القاضي المكناسي

هو الفقيه المؤرخ أحمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي المعروف بابن القاضي المولود بمكناس 966 هـ صاحب مؤلفات عديدة في الفقه والحساب والهندسة والتاريخ وغيرها من العلوم والفنون (67)وهو مؤلف كتاب جذوه الاقتباس في ذكر ماحل من أعلام مدينة فأس الذي ألفه للسلطان المنصور الذهبي إقراراً بفضله واعترافاً بجميله فقد رحل إلى الشرق لطلب العلم فدرس على يد المشاهير من العلماء ثم قفل راجعاً فوقع أسيراَ في يد قرصان الفرنجة فافتداه بمالٍ جزيلٍ(68) تتلمذ على يد أحمد بابا أثناء اقامته في مراكش وله عدة مؤلفات منها درة الحجال في اسماء الرجال(69).

ثامناً ـ مؤلفات أحمد بابا :

ألف أحمد بابا العديد من الكتب التي كانت ومازالت شموعاً تنير الطريق أمام الباحثين حيث بلغت مكتبته حوالي ستة مائة وألف مجلدٍ (70)

من أهم مؤلفاته :

- نيل الابتهاج في تطريز الديباج
- كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج(71)
- قراءة التعريف - جواب عن القوانين
- تحفة الفضلاء -تنوير القلوب
- المنهج المبين - الإبداء والإعادة
- خمائل الأزهار - وسيلتي شفيهي
- الدرر النادر - درر السلوك
- غاية الإجازة - درر الوشاح(72)
- النكث المسجدة - المقصد الكفيل
- غاية الأمل - إرشاد الواقف
- التحديث والتأنيس - تنبيه الواقف
- النكث الوفية بشرح الألفية - نيل الأمل
- ترنبت المعبار - جلب النعمة (73)
- جواب عن القوانين ـ اللآلئ السندسية
- فتح الفرد الصمد- إمتاع الإسماع
- أنفاس العلق- مسائل إلى علماء مصر
- الرند الوارى- إفهام السمع
- شرح الصدر- فتح الرزاق
- متن الرب الخليل- اللُمع في الإشارة
- شرح صفري السنوسي- عين الإصابة في حكم طابة(74)
- منور الحالك في شرح بيتي أبي مالك - المطلب والمأرب
- المسك الأئم لمعرفة العلم(فتح المحي في مسأله الحي75)-

- **وأيضاً:**

- معراج الصعود - رسالة في التصوف

- أجوبة الأسئلة الأربعة- جواب عن ثلاثة أسئلة
- فتح القدير - نزول الرحمة
- نشر العبير - أجوبة الأسئلة المصرية
- الدرر النضير- جزء من تكفير الكبائر بالأعمال الصالحة
- رسائل نثرية مودعة في المكتبه الجزائرية (76)

هذا قليل من كثير فقد خلف لنا العالم الجليل أحمد بابا تركة علمية قيمة لا تقدر بثمن .

تاسعاً ـ وفاته :

ظل أحمد بابا في مراكش يعلم الناس العلم حتى وفاة السلطان المنصور أحمد الذهبي عام 1603 م حيث تولى ابنه زيدان حكم الدولة السعدية من بعده فسمح لآل أقيت عامة والشيخ أحمد خاصة بالعودة إلى تنبكت بعد إقامة استمرت عشرين سنة غير ستة أشهر(77)وهناك رواية أخرى تقول أن أحمد بابا مكت في مراكش سنتين ثم غادرها عائدا إلى تنبكت يوم الأحد الحادي والعشرين نت رمضان 1004 هـ / 1627 م(78) .

نلمس هنا اختلافاً واضحاً في مدة إقامة أحمد بابا في مراكش وتاريخ عودته إلى تنبكت فالفرق واضح مايقارب ثماني عشرة سنة هذا رقم ليس بالقليل

الباحثة ترجح الرأي الأول ؛ لأن الرأي الثاني أخذته من مرجع حاولت بحثه في المصدر الذي نهلت منه اصلاح حمودة ولكن النسخة الموجودة عندي لم أجد فيها هذه المعلومة لإنها محققه من قبل الدكتور الهادي الدالي ، وصاحبه الرأي مصدرها هو فتح الشكور لمعرفة أعيان التكرور للمؤلف محمد أبي بكر البرتلي ولكن محقق من قبل محمد الكتاني ومحمد حجى .

عندما سمح لهم السلطان زيدان بالعودة سلم الشيخ على تلامذه مودعهم وقال قولته المشهورة لاردني الله إلى هذا المعاد ولا أرجعني لهذه البلاد (79)

على ماذا يدل هذا ؟

وصل الشيخ إلى تنبكت 10 ذي الحجة 1016 هـ / 27 مارس 1608 م(80).

حيث قضى المؤلف العشرين السنة الاخيرة من حياته في تعليم والتأليف(81).

انتقل إلى الرفيق الأعلى يوم الخميس السادس من شعبان 1036 هـ/ 22 إبريل 1627م(82)وفي رواية أخرى كانت وفاته سنة 1032هـ(83).

الخـــــاتمة :

مما سبق عرضه عن العالم أحمد بابا نختم الدراسة بالنقاط التالية :

ـ ولد أحمد بابا في مدينة تنبكت من عائلة عريقة في العلم يشهد لها بالمكانة الرفيعة في المنطقة وقد عرف بأحمد التكروري .

ـ سلطت الدراسة الضوء على حياته ونشأته و تعليمه والشيوخ الذين تتلمذ على ايديهم.

ـ وضحت الدراسة بعض الأحداث عن حملة السلطان منصور الذهبي على بلاد السودان واحتلاله تنبكت أي الجزء الذي كان له دورا كبيرا في حياة احمد بابا.

ـ توصلت الدراسة إلى أن الشيخ احمد بابا تعرض لمحنة صعبة واعتقل علي يد قائد السلطان منصور الذهبي جودرباشا ونقل الى مراكش وهو مكبل واسير الأمر الذي نفته بعض المصادر.

ـ وضحت الدراسة اللقاء الذي دار بين أحمد بابا والسلطان منصور الذهبي في مراكش وكيف فرض عليه الإقامة فيها .

ـ تولى أحمد بابا عدة مناصب في مراكش منها الإفتاء في جامع الشرفاء بمراكش ومعلما في جامعة القرويين إضافة الى تأليف كتابه نيل الابتهاج في تطريز الديباج .

ـ تتلمذ على يدي هذا العالم الجليل العديد من العلماء منهم عبدالرحمن السعدي صاحب كتاب تاريخ السودان الذي يعد من أهم المصادر التاريخية المتكلمة عن تاريخ بلاد السودان.

ـ ألقت الدراسة الضوء على الكتب التي ألفها لنا أحمد بابا والتي تعد من أمهات الكتب شاملة أغلب العلوم في الدين والفقه واللغة والحديث أشهرها نيل الإبتهاج وكفاية المحتاج لمعرفة ماليس في الديباج .

ـ توفي العالم الكبير سنة 1036هـ/ في تنبكت ولكنه مازال حيا في كتاباته وما ترك من مؤلفات رحمك الله ايها العالم الجليل.

هوامش البحث :

1ـ ـ محمد بن أبي بكر البرتلي ، فتح الشكور في تراجم علماء التكرور، دراسة وتحقيق وتقديم ، الهادي المبروك الدالي ، دار الكتب الوطنية بنغازي ، 2002 ، صـ14.

2ـ ـ أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج في تطزير الديباج، عناية وتقديم، عبد الحميد الهرامة، منشورات دار الكتاب طرابلس، ط2، الجماهيرية ،2000 ف، محمد محمود الاروابي، تاريخ الصحراء والسودان وبلد تنبكت وشنقيط واروان في جميع البلدان، دراسة وتحقيق وتقديم الهادي المبروك الدالي، دار الكتب الوطنية بنغازي، 2009 ف، صـ106.

3ـ أحمد بن محمد المقرى التلمساني، روضة الأسر العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من اعلام الحضرتين مراكش وفأس ،ط 2، تحقيق محمد سالم شاهم، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ، 1983 ، صـ39.

4ـ أحمد بن يابير الارواني، السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية، دراسة وتحقيق الهادي الدالي ، تقديم عبد الحميد الهرامة ، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية 2001 ،صـ61 ، إصلاح حمودة ، انتشار الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا فيما وراء الصحراء تنبكت ـ غدامس نموذجاً ، دار الكتب الوطنية ، 2004ف ، صـ 213 .

5ـ محمد بن الطيب القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشرة والثاني، تحقيق محمد حجي ، أحمد توفيق، مطبوعات دار العرب للتأليف والترجمة والنشر، صـ274 .

*اسكياد داوود ، هو ابن اسكيا الحاج محمد تولى الحكم 958 هـ / 1551 م ، عرف بالخصال الحميدة كان سلطاناً فصيحاً سخياً مهيباً ذو وجه بشوش ومزاج رائق ، حافظ لكتاب الله محباً للعلم والعلماء ، ازدهرت الحياة العلمية والثقافية في عهده كثيراً ، أهتم بالعلم والعلماء ونسخ الكتب ، كان يتصدق على الفقراء ، للمزيد انظر محمود كعت بن الحاج المتوكل كعت الوعكري ، تاريخ الفتاش في اخبار البلدان والجيوش واكابر الناس ، دراسة وتحقيق وتقديم ، ماهر عبد الغني دعوب ، شركة مطبعة السلام جمهورية مصر العربية ، 2019 ف ، صـ 129 .

6ـ أحمد بابا التنبكتي ، كفاية المحتاج لمعرفة ما ليس في الديباج ، دراسة وتحقيق محمد مطيع ،ج2، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2000 ف، صـ21، محمد آمين بن فضل الله المجبي اكتفى، خُلاصة الأثر في اعيان القرن الحادي عشر، تحقيق محمد حسن، محمد اسماعيل البخار، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، 1971م صـ 70.

** ولد أحمد بن عمر بن محمد بن أقيت، عام 929هـ وتوفى 990هـ، له عدة مؤلفات منها شرح منظومة المغيلي في المنطق، محمد بن محمد بن عمر مخلوف، شجرة النوز الزكية في طبقات المالكية، تحقيق علي عمر مكتبة الثقافة الدينية، صـ286.

7ـ أحمد الارواني ، مصدر سائق ، صـ84 .

8ـ أحمد بابا، كفاية المحتاج، مصدر سابق، صـ 21 ،22 ، المحبي ، مصدر سابق ، صـ 71 ـ مخلوف ، مصدر سابق ، صـ 286 .

*** الاجازة : نمنح لطالب بعد تمكنه من مادة من المواد التي يدرسها على يد الشيخ الذي يدرس عنه فهي بمثابة الشهادة في الوقت الحاضر ، للمزيد انظر الهادي المبروك الدالي ، تاريخ الحضارى لأفريقيا فيما وراء الصحراء ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، 2001 ، صـ 170 إلى صـ 176 .

****هو محمد بن محمود بن ابي بكر الونكري التنبكتي المعروف بيغيغ ، ولد عام 930 هـ توفي عام 1002 هـ، أثنى عليه أحمد بابا كثير في كتبه، للمزيد انظر أحمد بابا، نيل الديباج، صـ 205، وكفاية المحتاج صـ 23، المقرى، مصدر سابق، صـ 305، البرتلي، مصدر سابق صـ 15 .

9ـ أحمد بابا ، نيل الابتهاج ، صـ 305 ، البرتلي ، مصدر سابق صـ 15 .

10- أحمد بابا، كفاية المحتاج، صـ 23، العباس بن إبراهيم السملاني الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الإعلام، راجعة عبد الوهاب بن منصور،ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1993 م،صـ 302 .

11- المقرى، مصدر سابق،صـ 110 .

12- مخلوف، مصدر سابق، صـ 286 .

***** محمود بن عمر، هو عالم من أعلام إفريقيا فيما وراء الصحراء ولد 913 هـ، درس على يد والده وعمه في بلاده، درس أحمد بابا واجار له اجازة عامة توفى 991 هـ، انظر، مخلوف، مصدر سابق صـ 286، البرتلي، مصدر سابق، صـ 35.

13- المقرى ، مصدر سابق ، صـ 113، مخلوف ، مصدر سابق صـ 287 .

****** هو سلطان المنصور أحمد الذهبي، بن الامام أبي عبد الله الشريف(956هـ/ 1549 - 1603 م)، مؤسس الدولة السعدية وهو أقوى حكامها على الاطلاق اتخذ من مدينة مراكش عاصمة للحكمة ، تدخل في شؤون بلاد السودان الغربي بناء على طلب من سكان سنغاى ، فجرد لهم حملة بقيادة قائده جودر باشا، وبهذا كسر الطوق المضروب عليه من قبل العثمانين من جهه ونصارى الأندلس من جهة ثانية ، للمزيد ، انظر ، الارواني ، مصدر سابق ، صـ 97 ، أحمد القاضي المكناسي ، جذوة الأقتباس في ذكر من حل من اعلام مدينة فأس ، دار المنصور ، الرباط ، المغرب ، صـ 5 .

14- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى الدولة السعدية ،ج 5 ، تحقيق وتعليق جعفر ومحمد الناصري ،دار الكتاب ، الدار البيضاء ، المغرب ، صـ 112 - 113 ، أبوبكر إسماعيل ميقا ، الحركة العلمية والثقافية والاصلاحية في السودان الغربي في عهد الممالك غانا ومالي وسنغاي ، مكتبة التوبة ، الرياض ، المملكة العربية السعودية 1997 م ، صـ 230 .

15- محمد الغربي ، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي ، اشراف نقولا زيادة ، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الكويت ، صـ 179 - 180 .

16- ابو فارس عبد العزيز الفشتالي ، مناهل الصفا في أخبار ملوك الشرفاء دراسة وتحقيق عبد الكريم كريم ، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، صـ 123 ، محمد الغربي ، مرجع سابق ، صـ 183 ، الناصري ، مصدر سابق صـ 124 .

17- القشتالي ، مصدر سابق ، صـ 136 .

18- المصدر نفسه ،صـ 337 .

19- محمد العربي ، مرجع سابق ، صـ 185 - 186 .

20- القشتالي ، مصدر سابق ، صـ 132 .

21- المصدر نفسه ،صـ 135- 136 ، أبو بكر ميقا ، مرجع سابق صـ 240 .

22- محمود كعت ، مصدر سابق ، صـ 214 ، لارواني ، مصدر سابق ، صـ 66.

******* جودر باشا ، أول من قاد الحملة المغربية على بلاد السودان الغربي زمن السلطان الذهبي في عهد الدولة السعدية قاتل العديد من الاساكية حتى دخل مدينة تنبكت واقام فيها أزيد من شهرين في مكان يطلق عليه اليوم جودر كنعي ، وقد بنى قصية للمقر حكمة مازالت اثارها إلى اليوم ، محمود كعت ، مصدر سابق صـ 124 ، مجهول قبائل البرابيش ، دراسة وثائقية ، تحقيق وتقديم الهادي الدالي الزاوية مطابع الوحدة ، 2002 ف ، صـ 27 ، الهادي الدالي ، تاريخ أفريقيا فيما وراء الصحراء ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، صـ 148 .

23- الناصري ، مصدر سابق صـ 122 .

24- عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، دراسة وتحقيق وتقديم الهادي الدالي، منشورات مركز البحوث والدراسات الأفريقية، طرابلس 2010م، صـ 171 ، إسماعيل ميقا، مرجع سابق ، صـ 241.

25- الناصري ، مصدر سابق صـ 122 .

26- المصدر نفسه ،صـ 3؛ محمود كعت، مصدر سابق، صـ 210 - 211

27- كعت ، مصدر سابق، صـ 174 .
28- الناصري، مصدر سابق صـ 129 .
29- القشتالي، مصدر سابق، صـ 123، إسماعيل ميقا، مرجع سابق ، صـ 245.
30- محمود كعت، مصدر سابق، صـ 123 .
31- عبد الرحمن السعدي ، مصدر سابق ، صـ 191 .
32- المصدر نفسه ،صـ 199، محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد الدولة السعدية ، ج2 ، منشورات دار المغرب للتأليف والنشر، الرباط ، صـ 165.
33- السعدي، مصدر سابق، صـ 170، مرجع سابق ، صـ 166.
34- محمود كعت، مصدر سابق، صـ 173، إسماعيل ميقا، مرجع سابق،صـ 247.
35- الناصري، مصدر سابق صـ 130، عبد الله الصغير الأفراني، صفوة من انتشر في اخبار على القرن الحادي عشر، تحقيق عبد الحميد خيالي، مركز الثرات الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب 2004 صـ 116 .
36- أحمد بابا، نيل الابتهاج، صـ15-16،الناصري،مصدر سابق صـ129، القادري، مصدر سابق صـ 129.
37- محمد المقرى، مصدر سابق،صـ 314، محمود كعت، مصدر سابق صـ 144 .
38- المصدر نفسه ،صـ 314 ، الناصري، مصدر سابق صـ 131 .
39- محمد الصغير بن الحاج عبد الله الوفراني النجار المراكشي، نزهة الحادي باخبار ملوك القرن الحادي، صحح عباراته السيد هوداس تم طبعة على يد بردين صاحب مطبعة بمدينة الجي 1888 ،صـ 98.
40- الأفراني ، مصدر سابق ، صـ 116 .
41- الارواني ، مصدر سابق صـ 66- 67 .
42- محمود كعت ، مصدر سابق ، صـ 214 .
43- أحمد بابا ، نيل الابتهاج، صـ 16- 17.
44- القادري ، مصدر سابق ، صـ 274 .
45- السملالي،مصدر سابق، صـ 303، المجبي،مصدر سابق،صـ171، المراكشي، مصدر سابق ، صـ 97، الافراني، مصدر سابق ، صـ 116-117 .
46- الافراني، مصدر سابق ، صـ 117 .
47- المصدر نفسه ،صـ 116 .
48- القرآن الكريم ، رواية قالون ، سورة االشورة الأية 48 .
49- الناصري ، مصدر سابق صـ 130 .
50- المراكشي، مصدر سابق ، صـ 97 ،الافراني، مصدر سابق ، صـ 117 .
51- الناصري ، مصدر سابق صـ 130 ، المراكشي، مصدر سابق ، صـ 97 .
52- الارواني ، مصدر سابق صـ 61 .
53- الناصري ، مصدر سابق صـ 131 .
54- الهادي الدالي ، تاريخ الحضاري افريقيا فيما وراء الصحراء ، صـ 66 .
55- محمد العربي ، مرجع سابق ، صـ 552 .
56- الافراني، مصدر سابق ، صـ 115 .
57- المصدر نفسه ،صـ 117 .
58- محمد حجي، مرجع سابق ، صـ 383 .
59- [illegible]

60- الارواني ، مصدر سابق صـ 63 .
61- أحمد المقرى ، مصدر سابق صـ 315 - 316 .
62- المراكشي، مصدر سابق، صـ343، اصلاح حمودة ، مرجع سابق، صـ 213 .
63- عبد الله كنون ، النبوغ المغربي في بلاد العربي ،صـ253 .
64- المكناسي، مصدرسابق ،الكتاني، مصدرسابق، صـ133،الافراني، مصدرسابق، صـ77.
65- عبد الله كنون ، مرجع سابق ، صـ 253 .
66- الارواني ، مصدر سابق صـ 12 .
67- المكناسي، مصدر سابق صـ 5.
68- السملاني ، مصدر سابق ، صـ 25.
69- عبد الله كنون ، مرجع سابق ، صـ 254 .
70- ابوبكر ميقا ، مرجع سابق ، صـ 247 .
71- المقرى ، مصدر سابق صـ 304 .
72- اصلاح حمودة ، مرجع سابق ، صـ 213 - 214 .
73- المقرى ، مصدر سابق صـ 304 -305 .
74- اصلاح حمودة ، مرجع سابق ، صـ 215 .
75- المقرى ، مصدر سابق صـ 305 .
76- اصلاح حمودة ، مرجع سابق ، صـ 216 .
77- محمود كعت ، مصدر سابق ، صـ 77 .
78- اصلاح حمودة ، مرجع سابق ، صـ 213 .
79- المراكشي، مصدر سابق ، صـ 98 .
80- أحمد بابا، كفاية المحتاج، مصدرسابق،صـ22،القادري، مصدرسابق، صـ151.
81- محمود كعت ، مصدر سابق ، صـ 214 .
82- الافراني، مصدرسابق، صـ52، السملاني، مصدرسابق، صـ306، القادري ، مصدر سابق ، صـ 151.
83- المحيي ، مصدر سابق ، صـ 172 ، محمد مخلوف، مصدر سابق ،صـ 199 .